

الاتجاهات البلاغية فى تفسير الكشاف للزمخشري

الدكتور مرتضى آية الله زاده شيرازى
كلية الالهيات ، جامعة طهران

تجلت ثقافة الزمخشري العربية والدينية فى تفسيره الكشاف الذى يعد دائرة معارف عربية واسعة الذبوع والشهرة فلقد عرض الزمخشري فيه اللغة والنحو والتصريف والاشتقاق والقياس والقراءات والبلاغة وغيرها من علوم العربية فى مناسبة حديثه عن الآيات القرآنية فى سعة بسط وقوة عرض وعظمة دراية بالمأثور والمأم بالمنقول واطاف الى كل ذلك ذوقه و شخصية فى التفسير والشرح والبيان ، ونستعرض فى هذا لمقال اتجاهاته اللغوية والبلاغية فى تفسيره.

معانى اللغة فى الكشاف :

١ - يعرض الزمخشري فى كل آية و موضع الالفاظ اللغوية بالتفسير والشرح ولما يشتى فروع الامة وأصولها و بما قاربها أو شابها من الالفاظ.
يفسر مثلاً الرحمن والرحيم فيقول الرحمن فعلان من رحم كغضبان : و سكران من غضب و سكر و كذلك الرحيم مثل كمريض و سقيم من مرض و سقم وفى الرحمن من المبالغة ما ليس فى الرحيم ثم يضيف بأن الزيادة فى البناء لزيادة المعنى.

ثم يقول : سهاطن على اذنى من سلح العرب انهم يسمون مركبا من مراكبهم بالشقذف وهو مركب خفيف، واما المحمل العراقى فاسمه الشقنداف فزيد فى بناء الاسم لزيادة المعنى لان الشقنداف اكبر من الشقذف(١) و يقول فى تفسير قوله تعالى ”المفلحون“، المفلح الفائز بالبيعة كانه الذى انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه والمفلج بالجيم والتركيب دال على معنى الشق والفتح وكذلك اخوته فى الفاء والعين، نحو، فلق، وفلذئلس، (٢)، و يقول فى تفسير ”الحمد“، مشيرا نظائرة فى المعنى : الحمد والمدح اخوان وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمة وغير ماتقول: حمدت الرجل على انعامه وحمدته على حسبه وشجاعته واما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح، قال :

افادتكم النعماء منى ثلاثة : يدي ولساني والضمير المحجبا

والحمد باللسان وحده فهو احدى شعب الشكر، و سنه قوله عليه السلام : الحمد رأس الشكر، ما شكر الله عبد لم يحمده و انما جعله رأس الشكر لأن ذكر النعمة باللسان والثناء على سوليها أشيع لها وادل على مكانها من الاعتقاد و آداب الجوارح لخفاء عمل القلب و مافى عمل الجوارح من الاحتمال بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذى يفصح عن كل خفى، و يجلى كل مشتبه، والحمد تقيضه الدم، والشكر تقيضه الكفران(٣)

و يقول فى المعنى اللغوى لكلمة (سجى) : سكن وركد ظلانه، وقيل ليلة ساجية ساكنة الربع، و قيل معناه، سكون الناس والاصوات فيه، وسجا البحر سكنت أسواجه وطرف ساج : ساكن فاتر(٤) .

و من هذا نجد شدة استقصائه للمعانى اللغوية للالفاظ و تحريره فى تحديد

المعنى اللغوى تحديدا واضحا .

٢ - يعرض الزمخشري للمعنى المجازى للكلمة عرضا دقيقا واسعا يقول
 فى معنى "يوم الدين"، و يوم الدين يوم الجزاء و منه قولهم كما تدين تدان،
 و بيت الحماسة :

ولم يبق سوى العدو ن دنا هم كما دانوا

فان قلت : ما هذه الاضافة قلت هى اضافة الفاعل الى الظرف على طريقة
 الاتساع فجرى مجرى المفعول به كقولهم "يا سارق الليلة أهل الدار، والمعنى
 على الظرفية وسعناه مالك الامر كله فى يوم الدين كقوله : لمن الملك اليوم؟ (٥)
 والاتساع فى الظرف ان لا يقدر "فى"، توسعا فينصب نصب المفعول به كقوله
 "و يوم شهدناه، او يضاف اليه على وتبرته كمالك يوم الدين وسارق الليلة حيث
 جعل اليوم مملوكا والليلة مسروقة، و يريد الزمخشري بهذا الاتساع : ان يكون
 فى التوسع فى الاضافة مجاز عقلى وهو بذلك يشرح لنا شيئا بالمعنى المجاز العقلى
 فى الاضافة و يقول الزمخشري فى معنى قوله تعالى : "اولئك الذين اشتروا الضلالة
 بالهدى فما ربحت تجارتهم : "جعلوا لتمكنهم منه و اعراضه لهم كانه فى ايديهم
 فاذا تركوه الى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوا بها ولان الدين القيم هو فطرة الله
 التى فطر الناس عليها فكل من ضل فهو مستبدل خلاف الفطرة، . ثم يستطرد
 الزمخشري فى هذا المعنى فيقول : كيف أسند الخسران الى التجارة وهو لاصحابها
 (قلت) هو من الاسناد المجازى، وهو ان يسند الفعل الى شىء يتلبس بالذى هو
 فى الحقيقة له كما تلبست التجارة بالمشتريين . فان قلت : هل يصح ربح عبدك
 و خسرت جارىتك على الاسناد المجازى ؟ قلت نعم اذا دلت الحال و كذلك الشرط
 فى صحة رأيت أسدا و انت تريد المقدم ان لم تقم الحال دالة لم يصح . (فان
 قلت) : هب أن شراء الضلالة بالهدى وقع مجازا فى معنى الاستبدال فما معنى

ذكر الربيع والتجارة كان ثم مبايعة على الحقيقة (قلت) : هذا من الصنعة البديعية التي تبلغ بالمجاز الذروة العليا وهو ان تساق كلمة مساق المجاز ثم تقفى بأشكال لها و اخوات اذا تلاحقن لم تر كلاما أحسن منه ديباجة و اكثر ماء ورونقا وهو المجاز المرشح ونحو ذلك قول العرب في البليد، "كأن اذني قلبه خطلا، و ان جعلوه كالحمار ثم رشحوا ذلك روما لتحقيق البلادة فادعوا لقلبه اذنين وادعوا لهما الخطل ليمثلوا البلادة تمثيلا يلحقها ببلادة الحمار شاهدة معاينة، ثم يأخذ في تبسيط هذا الكلام فيقول : "لما ذكر سبحانه و تعالى الشراء تبعه ما يشاكله و يؤاخيهِ وما يكمل و يتم بانضمامه اليه تمثيلا لخسارهم و تصويراً لحقيقة (٦) .

وهو بذلك يشرح لنا المعنى المجازي في قوله تعالى "اشترؤا الضلالة، و التجويز العقلي في قوله تعالى،، فما ربحت تجارتهم،، وما يتصل بذلك من ستمات المجاز و مؤكداته وهو في هذا الشرح يفيض في التحليل و التفصيل و التعمق في ايضاح المعنى وتبيينه .

و يقول في تفسير قوله تعالى : "انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها و أشفقن منها و حملها الانسان،، ما خلاصته : عرض الامانة على الجمادات و ابأؤها و اشفاقها مجاز و اما حمل الامانة فمن قولك : فلان حامل للامانة و محتمل لها . ثم يفيض في شرح التمثيل في الآية و ياتي بنظائر هذا التمثيل ليقيسه بها (٧) .

و يقول في قوله تعالى "ولما سكت عن موسى الغضب،، هذا مثل كان الغضب كان يغريه على ما فعل و يقول له قل لقومك كذا و ألق الألواح و جر برأس أخيك اليك فترك النطق بذلك و قطع الاعراء ولم يستحسن هذه الكلمة

ولم يستفصحا كل ذى طبع سليم و ذوق صحيح الا ذلك ولائه من قبيل شعب
 البلاغة والا فما لقراءة معاوية بن قرة . ”و لما سكن عن موسى الغضب،، لاتجد
 النفس عندها شيئا من تلك الهزة وطرفا من تلك الروعة و قرئ: ولما سكت
 و اسكت، أى أسكنه الله أو أخوه باعتذاره اليه و تنصله . و المعنى ولما طفى
 غضبه(٨) .

٣- ولا شك ان الالمام بالمعنى اللغوى للكلمة أو بالمعنى المجازى فى
 ذاته هو من مقومات الفهم اللغوى للفظه . كما أن فهم الاسناد المجازى فى
 الاساليب يعد خير توضيح للمعنى و تفسير له و ذلك سما يرجع ولاريب الى الشرح
 و التفسير اللغوى للكلمة أو الجملة أو الاسناد .

القرءات فى الكشاف

ان الزمخشري فى تفسيره يفيض فى بيان القراءات و وجوهها و اختلاف
 معانى الاسلوب القرآنى نتيجة لها، يقول الزمخشري فى قوله تعالى ”ولا تنكحوا
 المشركات حتى يؤمن،،: قرئ بالفتح ثم قرئ بضم التاء ”اى لا تتزوجوهن
 او لا تزوجوهن(٩)،، . و يقول فى قوله تعالى ”و يمدهم فى طغيانهم،،: قراءة
 ابن كثير و ابن محيصن ”و يمدهم،، و قراءة نافع،، و اخوانهم و يمدونهم،،
 . . . الخ(١٠) .

و يقول فى قوله تعالى ”ثم ارسلنا رسلنا تترى،، الالف للتأنيث لان الرسل
 جماعة و قرئ تترى بالتنوين والتاء بدل من الوا و كما فى ”تولج و تيقور،، اى
 متوازيين واحدا بعد واحد(١١) .

و يقول فى قوله تعالى ”ايان يبعثون بل ادارك علمهم،،: ما نصه:

ايان بمعنى متى ولوسمى به لكان فعلاً من آن يئين ولا يصرف و قرى ايان بكسرة
 الهمزة و قرى بل ادرك . بل أدرك . بل ادرك . بل تدارك . بل أ أدرك
 بهمزتين . بل آدرك بالف بينهما . بل ادرك، بالتخفيف والنقل بل ادرك بفتح
 السلام و تشديد الدال، و أصله بل ادرك على الاستفهام . بلى أدرك، بلى آدرك
 أم تدارك فهذه ثنتا عشرة قراءة ، و ادرك اصله تدارك فأذغمت التاء في الدال،
 و ادرك اقتعل، و معنى ادرك علمهم انتهى و تكامل، و ادرك تتابع و استحكم(١٣)،
 و قوله فى قوله تعالى : ”و صالح المؤمنين“، هو واحد أريد به الجمع
 و يجوز أن يكون أصله صالحو المؤمنين بالواو فكتب بغير واو، على اللفظ لان
 لفظ الواحد والجمع واحد فيه(١٣)، و هكذا يفيض الزمخشري فى بيان القراءات
 و شرحها و تحليل المعنى اللغوى المبني عليها، و يؤثر احياناً من القراءات ما
 يتضمن معنى بليغا كما قال فى قوله تعالى : ”ولى نعجة واحدة“، قراءة ابن مسعود
 و لى نعجة اثنى – و يقال امرأة اثنى واحدة“، للحسنة الجميلة، والمعنى وصفها
 بالعراقة فى لين الانوثة و فتورها و ذلك أسلع لها و أزيد فى تكسرهما و تثنيتها(١٤)
 و نجد الزمخشري احياناً يستشهد بالقراءات المختلفة لتقرير اعتقاده الاعتزالي كما
 فى تفسيره للآية (٤٨ من سورة البقرة) و آية (١٨ من سورة آل عمران) و غير ذلك
 من الوجوه .

فهودائماً يلتبس شيئاً يرحج به جانب المعنى و يدع جانب الظاهر فتجده
 يقول فى قوله تعالى : ”فشربوا منه الا قليلا“، و قرأ أبى والا عمش الا قليل بالرفع،
 و هذا من سلبهم مع المعنى والا عراض عن جانب اللفظ وهو باب جليل من علم
 العربية(١٥) (و انظر فى تفسير البحر المحيط تعليق ابى حيان على قراءات الزمخشري
 و كيف ان الزمخشري يطعن كثيراً فى نقل القراء و قراءاتهم(١٦) .

الاعراب و وجوه النحو فى الكشاف :

لا ينسى الزمخشري فى تفسيره ثقافته النحوية التى كان اماما فيها فنجده
يكثّر من بيان الاعراب و وجوه النحو و يفيض فى هذا المضمار و من مثل ذلك
ما كتبه فى قوله تعالى "يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت و تضع كل ذات
حمل حملها، و ترى الناس سكارى"، حيث يقول : يوم منصوب بتذهل و ضمير
ترونها للزلزلة، و قرى "تذهل كل مرضعة على البناء للمفعول، و تذهل كل مرضعة
اى تذهلها الزلزلة و ترى بالضم من أريتك قائما أو رایتك قائما و الناس منصوب
و مرفوع و النصب ظاهر و من رفع جعل الناس اسم ترى و أنث على تاويل
الجماعة . . . الخ (١٧) .

فالزمخشري حينما يتعرض لاعراب الآية : يحاور و يتمحل و يلف و يدور
حتى يضع يده على ما يروم و من اسئلة ذلك الكثيرة، كلامه فى اعراب الآيه
الكريمة "ان الذين آمنوا و الذين هادوا و الصابئون"، و الصابئون رفع على
الابتداء و خبره محذوف، و النية به التاخير عما فى خبره ان من اسمها و خبرها كأنه
قيل ان الذين آمنوا و الذين هادوا و النصرارى حكمهم كذا و الصابئون كذلك
و انشد سيويه شاهدا له :

والا فاعلموا أنا و أنتم بغاة ما بقينا فى شقاق

أى فاعلموا أنا بغاة و انتم كذلك . فان قلت هلا زعمت أن ارتفاعه للعطف على
محل ان واسمها، قلت : لا يصح ذلك قبل الفراغ من الخبر، لا تقول ان زيدا و
عمرو منطلقان . فان قلت : لم لا يصح و النية به التاخير فكانت قلت ان زيدا منطلق
و عمرو، قلت : لانى اذا رفعته عطفا على محل ان واسمها و العاسل فى محلها هو

الابتداء، فيجب ان يكون هو العامل في الخبر لأن الابتداء ينتظم الجزأين في عمله كما تنظمها ان في عملها فلو رفعت الصابئون المنوى به التأخير بالابتداء و قد رفعت الخبر بان، لاعملت فيهما رافعين مختلفين . فان قلت : فقوله والصابئون معطوف لابد له من معطوف عليه فما هو؟ قلت : هو مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله : ان الذين آمنوا . الخ . ولا محل لها كما لا محل للتي عطفت عليها . فان قلت : ما التقديم والتأخير الا لفائدة فما فائدة هذا التقديم ؟ قلت : فائدته التنبيه على ان الصابئين يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح فما الظن بغيرهم (١٨) الخ .

والزنجشرى كثيرا ما يسخر النجو في خدمة الاعتزال فعندما يرى ان ظاهر الآية : ”وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة و رهبانية ابتدعوها، تخالف حرية الارادة فاعرب رهبانية على انها منصوبة بفعل مضمرة يفسره الظاهر تقديره (وابتدعوا رهبانية) وام يجوز العطف على ما قبلها لانه لا يجوز عندهم عطفها على جعلنا و وصفها بقوله تعالى (ابتدعوها) لان ما يجعله هو تعالى لا ابتدعونه هم ثم يرجع مرة اخرى و يقبل يجوز ان يكون رهبانية معطوفة على ما قبلها و تكون و ابتدعوها صفة لها في محل النصب (اي و جعلنا في قلوبهم رأفة ورحمة و رهبانية مبتدعة من عندهم بمعنى و فقناهم للتراحم بينهم ولا بتداع الرهبانية) (١٩) فيقف في اعراب الآيات كي يقرر مذهبه الكلامي فيأتي مرة اخرى الى معنى اداة العطف (الواو) يقول في الآية : ” هو الاول، والآخر والظاهر و الباطن) فان قلت : فما معنى الواو؟ قلت : الواو الا ولى معناها الدلالة على انه الجامع بين الصفتين الاولية والاخرية والثالثة على انه الجامع بين الظهور والخفاء وأما الوسطى فعلى انه الجامع بين مجموع الصفتين الاوليين و مجموع الصفتين الاخرين، فهو مستمر

الوجود في جميع الاوقات الماضية والآتية وهي في جميعها ظاهر و باطن جامع للظهور بالادلة والخفاء فلا يدرك بالحواس و في هذا حجة على من جوز ادراكه في الآخرة بالحساسة(٢٠) فكل هذه التعسفات والتمحلات لاجل ان يقرر بان الله لا يدرك بالحواس الظاهرة .

ولاجل ان يقرر عقيدة الاعتزال بان مراد الرب كمراد العبد منه ما يقع و منه ما يمتنع فيقول في الآية ولعلكم تشكرون ان لعل هنا بمعنى الارادة أى ارادة ان تشكروا(٢١) و في الآية هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض(٢٢) دليل آخر على دقة الزمخشري في التماسه الوجوه النحوية التي يسخرها لتقرير الرأى الاعتزالي في مسألة حرية الارادة، يقول فان قلت : ما محل يرزقكم قلت : يحتمل ان يكون له محل اذا أوقعته صفة لخالق وأن لا يكون له محل اذا رفعت محل من خالق باضمار يرزقكم وا وقعت يرزقكم تفسيراً له او جعلته كلامه مبتدأ بعد قوله : هل من خالق غير الله، فان قلت هل فيه دليل على ان الخالق لا يطابق على غير الله تعالى ؟ قلت : نعم، ان جعلت يرزقكم كلاماً مبتدأ وهو الوجه الثالث من الواجهة الثلاثة واما على الوجهين الآخرين و هما الوصف والتفسير فقد تقيده فيهما بالرزق من السماء والارض و خرج من الاطلاق فكيف يستشهد به على اختصاصه بالاطلاق والرزق من السماء والمطرو من الارض النبات(٢٣) فنرى كيف ترك الوجه الثالث الذى لا يتفق ومعتقده وجاء بالوجهين الآخرين اثباتاً و تقريراً لرأيه بأن هناك خالفاً غير الله وهو الانسان الذى يخلق افعاله .

فاذا ما تتبعنا الزمخشري في تفسيره عالماً نحويًا فهو عندما يتعرض للقرآن من الوجهة الاعرابية لا ينساق وراء صناعته النحوية كسائر النحويين فينصرف و يبعد عن جانب المعنى و يأخذ بالظاهر، بل نراه يجعل كل همه حيشما كان هناك

تقدير اعرابي ان يعالج الاحكام النحوية و يبين مقاصد النحو من الناحية التي تستخدم فيها و تخدم تفسير القرآن و تنسق معانيه يقول فى الآيه "يتربصن ثلاثة قروء" (٢٤) فان قلت : فعلام انتصب ثلاثة قروء ؟ قلت على انه مفعول به كقولك المحنكر يتربص الغلاء اى يتربص مضى ثلاثة قروء أو على انه ظروف اى يتربصن مدة ثلاثة قروء ، فان قلت لم جاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التى هى الاقراء ؟ قلت يتسعون فى ذلك فيستعملون كل واحد من الجمعين مكان الآخر لا شترأكهما فى الجمعية ، الا ترى الى قوله بانفسهن وما هى الا نفوس كثيرة و لعل القروء كانت أكثر استعمالا فى جمع قرء من الاقراء فأوثر عليه تنزيلا لقليل الاستعمال منزلة المهمل . فيكون مثل قولهم : ثلاثة شسوع (٢٥) . فاذا ما رأى الزمخشري ان الحكم الاعرابي محل بالمعنى رفضه ففى آية والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يمتروا و كان بين ذلك قواسما (٢٦) يقول والمنصوبان اعنى بين ذلك قواسما جائز ان يكونا خبرين معا وأن يجعل "بين ذلك، لغوا" و قواسما، مستقرا وان يكون الظرف خبرا "وقواسما، حالا مؤكدة، و أجاز الفراء ان يكون بين ذلك، الاسم كان على انه سبني لاضافته الى غير متمكن كقوله :

لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت

وهو من جهة الاعراب لا بأس به ولكن المعنى ليس بقوى لان ما بين الاسراف و التقدير قوام لا محالة فليس فى الخبر الذى هو معتمد الفائدة فائدة (٢٧)

على ان الكشاف مظهر لثقافات الزمخشري العديدة التى احاطت بشتى علوم العربية أصولا وفروعا فففيه صورة واضحة لثقافته البيانية وفيه كذلك صورة لثقافته فى التصريف و الاشتقاق وما لىها من شتى علوم اللغة سما لاداعى فى هذا الفصل لزيادة الاطناب فيه .

أصول لغوية - في الكشف

١ - يحتوى الكشف على مجمل الاصول اللغوية والعربية العامة التي اشتهر بالنبوغ فيها الزمخشري و تفوق في دراساتها تفوقا ظاهرا وقد سبق ان ذكرنا عناية الزمخشري في تفسيره باللغة، والقراءات، والنحو و وجوه الاعراب، و نضيف الى ذلك ان الزمخشري وضع في تفسيره اهم الاصول البلاغية العربية عند ما عرض لتفسير بعض الآيات التي هي من قبيل المجاز، او الاستعارة او الكفاية، او التي تشتمل على وجوه مختلفة، من التقديم، أو التأخير، والحذف أو الزيادة، والتعريف أو التنكير، وغير ذلك من وجوه بلاغة الكلام و ألوان فصاحنه وما يشتمل عليه من حسن لفظي او معنوي كالطباق والجناس مثلا، و تفسير الكشف من حيث اشتماله على اصول البلاغة العربية والكثير من فروعها في دقة تحليله و عمق تفصيله، وسعة احاطته، و جمال عرضه، و ذكاء تطبيقه، يكاد يعد فريدا في بابيه.

وللزمخشري كثير من الاصطلاحات التي تعد من اهم اصطلاحات البلاغة العربية، وهو يفيض في بلاغة الاستعارة والتمثيل والكناية والتشبيه، و في بلاغة مختلف أساليب الكلام، و كثيرا ما يذكر التخييل، في الآيات التي تعجب من قبيله، يقول في قوله تعالى: "والارض جميعا قبضته يوم القياسة والسماوات سطويات يمينه"، ان الغرض من هذا الكلام اذا اخذته كما هو بجملته و مجموعته، تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله لا غير، من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين الى جهة حقيقية، او جهة مجاز،... الى ان يقول: ولا ترى بابا في علم البيان أدق، ولا أرق، ولا ألطف من هذا الباب، ولا انفع و أعون على تعاطي تأويل المشتبهات، من كلام الله تعالى، و كلام الانبياء، فان اكثره و عليته تخيلات، قد زلت فيها الاقدام، قديما... (٢٨) الخ. وهو يريد بالتخييل هنا التمثيل على

سبيل الاستعارة أو الكناية ، والمراد ما جاء على غير سبيل الحقيقة بل على ضرب من التجوز والتأويل ، وهو يتكلم عن التخيل في آيات أخر كثيرا ، و إنما ذكرنا التخيل على سبيل المثل لبعض الا صطلاحات البيانية التي يأتي بها الزمخشري في كشافه . و يقول الزمخشري في هذه الاصطلاحات البلاغية انها الفاظ مستحدثة لم يتعارفها الناس في ذلك العهد - أى عهد الوضع اللغوى - و إنما احدثوها بعد (٢٩) .

ان صاحب الكشاف في عرضه لبلاغة الآيات القرآنية ووجوه اعجازها وما احتوت عليه من ضروب البيان يعد جليل القدر و عظيم المنزلة ، بين علماً التفسير والبلاغة .

(٢) - و يكثر الزمخشري في كشافه من الاستشهاد لبلاغة القرآن الكريم بشعر المحدثين و كلامهم ، مؤكدا ان المحدث وان كان لا يستشهد بشعره في اللغة الا انه عربى اللسان وما يقوله بمنزلة ما يرويه (٣٠) و يكثر من الاستشهاد كذلك بقول الحسن البصرى في اللغة والتفسير (٣١) و بغيره من الاسلامين والمحدثين . و يستشهد بشعر الحريري و بكلام أعرابية بمستجدية بمكة (٣٢) .

٣ - يميل الزمخشري في تفسيره الى ترجيح الاستعمال المستفيض الذى هو بمنزلة الخبر المتواتر، على التماس . ونص عبارته : ولكن استعمال المستفيض الذى هو بمنزلة الجز المتواتر تتضال اليه القياسات (٣٣) . و حيث لا يشتهر الاستعمال المستفيض يستشهد الزمخشري بالقياس ، كما في كلامه على الرحمن حيث استدل باستعمالات العرب على أن الزيادة في بناء الاسم هي لزيادة المعنى (٣٤) .

٤ - و من الجدير بالذكر ان الزمخشري يطلق على المجاز في اللغة "اتساعا"، كما في تفسيره لقوله تعالى: "و يجعلون اصابعهم في آذانهم من الصواعق"،

حيث يقول : ان رأس الاصبع هو الذى يجعل فى الاذن ، فهلا قيل أناسلمهم ؟
و يجب عن ذلك بان هذا من الاتساعات فى اللغة التى لا يكاد يحصرها الحاصر ،
و يسمى المجاز العقلى اتساعا كذلك (٣٤).

٥ - والفلسفة اللغوية ظاهرة فى الكشف ظهورا جليا حيث نجد ، الزمخشري
يحاول رد الفروع اللغوية الى اصولها والمتشابهات الى اصل واحد و يحاول
ان يجعل بين الاصول المختلفة وجوه صلة و تناسب ، و ذلك ما سوف نفضله فى
الباب الثالث من هذا القسم عند الكلام على المبادئ العامة اللغوية عند الزمخشري .

٦ - و من امثلة ذوقه اللغوى الدقيق واحساسه بالفرق بين لفظة و لفظة ،
ما عرض له فى كلامه على لفظة سلسيل يقول : سلسيل لسلاسة انحدارها فى
الحلق وسهولة مساعها ، يعنى انها فى طعم الزنجيل و ليس فيها لذعة ، و لكن
تقيض اللذع ، و هو السلاسة يقال شراب ، سلسل ، سلسال ، و سلسيل ، فقد زيدت
الباء فى التركيب حتى صارت الكلمة خماسية و دلت على غاية السلاسة ، قال
الزجاج : السلسيل فى اللغة صفة لما كان فى غاية السلاسة (٣٥).

٨ - و يتعرض الزمخشري فى تفسيره لوضع كثير من اصول الدراسات اللغوية
والبلاغية فنجده يتحدث عن موسيقى اللفظ و يتعرض للموازنة اللغوية بين لفظة
و يشير الى ما توحى به اللفظة من تأثير و هزة ، و يتعرض للنقد اللغوى للكلمة ،
و يذكر ما جرى فيها من الاتساع و غير ذلك من وجوه الاتجاهات اللغوية للمفردات
واخيراً فان هذه هى اهم ملامح الاتجاهات اللغوية و البلاغية عند الزمخشري فى
تفسيره الكشاف .

المراجع

- (١) الكشاف ج ١ ص ٣٥، ٣٤
- (٢) الكشاف ج ١ ص ١١٤
- (٣) تفسير الكشاف ج ١ صفحة ٣٨، ٣٩
- (٤) تفسير الكشاف ج ٣ صفحة ٣٤٤
- (٥) تفسير الكشاف ج ١ : ص ٤٦
- (٦) تفسير الكشاف ج ١ ص ١٤٦، ١٤٩ ط العلي .
- (٧) تفسير الكشاف ج ٢ صفحة ٥٥٢، ٥٥١
- (٨) تفسير الكشاف ج ١ ص ٥٨٠، ٥٧٩
- (٩) تفسير الكشاف ج ١ : ص ٢٧٣
- (١٠) تفسير الكشاف ج ١ ص ١٤٤
- (١١) تفسير الكشاف ج ٢ : ص ٣٦٢
- (١٢) تفسير الكشاف ج ٢ : ص ٤٥٨
- (١٣) تفسير الكشاف ج ٢ : ص ٢٦٤
- (١٤) تفسير الكشاف ج ٣ : ص ١١
- (١٥) تفسير الكشاف ج ١ : ص ٢٨٩
- (١٦) تفسير البحر المحيط - لابي حيان - ج ٥ ص ٢٤٨، ٢٤٩ و ج ٣ ص ١٥٨
- (١٧) تفسير الكشاف ج ٢ ص : ٣٤٠، ٣٤١
- (١٨) تفسير الكشاف ج ١ ص : ٤٧٤
- (١٩) تفسير الكشاف ج ٣ ص ٢٠٤
- (٢٠) تفسير الكشاف ج ٣ ص ٢٠٠ آيه ٣ سورة الحديد .
- (٢١) تفسير الكشاف ج ١ ص ٣١٦ سورة البقرة آيه ٥٢ .
- (٢٢) سورة الفاطر آيه ٣
- (٢٣) الكشاف ج ٢ ص ٥٧٠
- (٢٤) سورة البقر ٢٢٨
- (٢٥) تفسير الكشاف ج ١ ص ٢٧٧ (البقرة)
- (٢٦) الفرقان ٦٧
- (٢٧) تفسير الكشاف ج ٢ ص ٤١٥

- (٢٨) تفسير الكشاف ج ٣ : ص ٤٠ ، ٤١
- (٢٩) تفسير الكشاف ج ١ ص ١٦٧
- (٣٠) الكشاف ج ١ : ص ١٧٠ ، ج ١ : ص ٤٣
- (٣١) راجع استشهادة مثلا في تفسير معنى "الدولة"، الكشاف ج ٣ صفحة ٢١٥ ، ٢٥٧ وفي تفسير كلمة هماز
- (٣٢) الكشاف ج ٣ : ص ١٦٤ ، ١٥٣ ، ٢٩٩ ، ٢٩٤ .
- (٣٣) تفسير الكشاف : ج ٢ ص : ١٧٧ ، ج ١ : ص ٣٤
- (٣٤) كشاف ج ١ : ص ٣٤ ، ١٦٧ ، ٤٥
- (٣٥) تفسير الكشاف ج ٣ : ص ٢٩٨
-